الحشد الشعبي.. بدائل المناكفة

علي الصراف
كاتب عراقي

تستطيع ميليشيات الحشد الشعبي في العراق أن تستولي على السلطة في أربع ساعات أو أقل. فلماذا لا تفعل ذلك؟

بدلا من المناكفات مع رئيس الحكومة وإهانة سلطته، وانتهاك سيادة الدولة والإضرار بمؤسساتها، وبدلا من إقامة علاقات دبلوماسية موازية مثيرة للسخرية، وبدلا من أعمال النهب الجزئية التي تجعلها في نظر الدولة عصابات سرقة، تستطيع هذه الميليشيات أن تستولي على الدولة ككل، وتقيم نظاما لا ينافسها فيه أحد. فتنهب ما شاء لها الهوى من دون أن يتهمها أحد بارتكاب جرائم. وتستطيع أن توقع عقودا رسمية مع إيران، ليس لاستيراد الغاز والكهرباء، بل وحتى استيراد الهواء أيضا، من أجل توفير الأموال لسلطة الولي الفقيه فيرضى عنها وعما صدّرته الثورة من مجرمين ولصوص ورعاع وشذاذ آفاق وقتلة و"كلاوجية".

من يستطيع أن يقف بوجه صواريخ الحشد الشعبي؟ بايدن لن يجرؤ على أن يبقى بفرد واحد من قواته بعد الموعد الذي يحدد له ليس للرحيل من العراق فحسب وإنما للرحيل من المنطقة ككل

وفي السلطة فإن هؤلاء، إذ يستطيعون أن يظهروا كرجال دولة، فإن أحدا لن يستطيع أن يجعلهم موضع احتقار أو "بوز مهانة".

كل هذا يمكن أن يتغير بين ليلة وضحاها، فلا يعودون مضطرين إلى مراعاة أحد غير وليّهم الفقيه. فلماذا الحاجة إلى ممارسة الخبائث من وراء الظهر بينما يمكن تحويلها إلى سياسة معلنة؟ ولماذا التعرض للاتهامات بأعمال إرهاب، بينما يمكن النظر إليها كأعمال خيرية؟

لعلهم يحاولون تكرار وضعية "حزب الله" في لبنان، الذي يقيم دولة موازية ويكتفي بها.

ولكن حزب حسن نصرالله لا يستطيع أن يفعل ما يستطيعون فعله. النظام اللبناني يقوم على صيغة مختلفة لا تسمح لحزب طائفة واحدة أن يركب على الجميع. فيضطر حسن نصرالله أن يستمطي أفرادا من تلك الطوائف، لأنه لا يستطيع أن يستمطيها كلها.

ميليشيات الحشد الشعبي في العراق تستمطي الجميع أصلا. بمعنى أن العراقيين عندما يصحون في صباح اليوم التالي للانقلاب، لن يلاحظوا أي تغيير. بل سيظهر بينهم من يعتقد أن الحال سيكون أفضل إذا ما انتهت ازدواجية السلطة التي جعلتهم في دوامة مستمرة، لا أحد فيها يعرف مَنْ قتل مَنْ، ومَنْ سرق ماذا، ومَنْ وقع عقودا مزيفة مع مَنْ. كل الأشياء تحت سلطة الحشد الشعبي سوف تكون مرتبة ترتيبا حسنا. كما يمكن تنظيم أعمال النهب وفقا للقانون، فيصبح من حق كل وزير من وزراء الحشد أن يُعين لحسابه الشخصي 100 "وظيفة فضائية" (لموظفين لا وجود لهم)، وأن يوقع عقودا مع شركات أجنبية يقوم أحد أقاربه بتأسيسها في كندا وبريطانيا لاستيراد مولدات كهرباء، عندما تنصبها تكتشف أنها، لكي تعمل، تحتاج إلى مولدات أخرى، وهكذا.

الحشد الشعبي في العراق يستطيع أن يخدم نفسه، ويخدم إيران بطريقة أفضل لو أنه اختار أن يرتبط مع إيران بوشائج استراتيجية معلنة تبعث الخوف في نفس الولايات المتحدة فلا تعود تتجرأ على توجيه ضربات لإيران. بل يمكن إعلان الوحدة الاندماجية على امتداد "الهلال الشيعي" كله. فترتعب إسرائيل وكل القوى العظمى، وتصبح مضطرة إلى التعامل مع طهران كقوة عظمى.

المهدي المنتظر، عندما يرى كل هذه النتائج قد تحققت، فإنه سوف يركب حصانه ويأتي بسرعة ليشرب أول فنجان قهوة مع سيادة الرئيس فالح الفياض، ويضرب ماعون الهريسة مع رئيس وزرائه قيس الخزعلي.

وبحكم الضرورات المستجدة، فإنه يستطيع، على سبيل "المباغتة"، أن يطالب بسيف علي بن أبي طالب (ذو الفقار) الذي تم إهداؤه للمرحوم دونالد رامسفيلد، للاستخدام الطارئ. كما يمكن دعوة، طيب الذكر، بول بريمر، رئيس مجلس الحكم، لإعادة بناء العلاقات بين دولة الحشد الشعبي والولايات المتحدة على أسس الشراكة التي أرسيت عندما تم تقاسم أكثر من 100 مليار دولار من عائدات برنامج "النفط مقابل الغذاء"، فتحولت إلى برنامج "الولاء مقابل العطاء".

أشياء كثيرة يمكن أن تتحقق من بعد ذلك. كل ما يحلم به الولي الفقيه سوف يُصبح سهلا، فلا يعود يعاني من أي ضائقة. وبوجود الحشد الشعبي في السلطة، فإنه يستطيع أن يجعل كل دول المنطقة تخضع لتهديداته. ولا تعود تحلم بأن يكون لها موطئ قدم في العراق.

الروابط التي تسعى هذه الدول إلى إقامتها مع العراق، لأجل كسبه، يمكن أن تتبدد في خمس دقائق. وإذا خسرت استثماراتها، فلا عتب إلا عليها لأنها لم تدرك أن العراق بلد خاضع لسلطة الولي الفقيه، وإنها إذا أرادت أن يكون لها مكان في العراق، فإنها يجب أن تتفاوض معه، لا مع مصطفى الكاظمي.

ومن هذا الكاظمي أصلا، الذي يتم التعويل عليه؟ فهو في النهاية موظف، مقطوع من شجرة، لا أمامه حزب يرعاه، ولا وراءه ميليشيا تحميه. ويمكن طرده في أي وقت. وهو يبيع الأوهام عن "دور للعراق" كوسيط بين دول المنطقة، ولا يشتري هذه الأوهام إلا من رغبوا بأن يوهموا أنفسهم بها. وعندما يرحل، فسوف يعرفون أين ذهبت. وما هي الكوابيس التي تنتظرهم تحت سلطة الحشد الشعبي.

استيلاء الحشد الشعبي على السلطة سوف يغنيه عن إجراء انتخابات يظن البعض أنها سوف تحقق له فوزا. وعندما تستقر الأمور، في غضون أربعة أيام أو خمسة، فإنه يمكن إجراء انتخابات على غرار الانتخابات الإيرانية.

وبدلا من دعوة مراقبين دوليين للإشراف عليها، فإنه سيكون كافيا أن ترسل إيران مراقبين محايدين، لا يكتفون بمراقبة الصناديق، بل يقومون بفرز الأصوات أيضا، بعد أن يحلف كل منهم بـ"العباس أبو راس الحار" بأنه لن يحسب أوراقا إلا تلك المختومة بالفارسي.

النتائج سوف تأتي دائما، كما يتنبأ بها الولي الفقيه. كيف لا، وهو "وكيل الإمام" ومطلع على أسرار غيبته، والعارف بكل شيء.

ومن ذا الذي يستطيع أن يقف بوجه صواريخ الحشد الشعبي؟ جو بايدن الذي هرب من أفغانستان، لن يجرؤ أن يبقى بفرد واحد من قواته بعد الموعد الذي يحدده له أبو ولاء الولائي، ليس للرحيل من العراق فحسب، وإنما للرحيل من المنطقة ككل.

كل هذه المعجزات يمكن أن تتحقق في أربع ساعات أو أقل. فلماذا لا يفعلها الحشد الشعبي؟

سؤال يرسم المسؤولية التاريخية التي تنتظر هذا الحشد لكي يتقدم ويعلن العراق ولاية من ولايات إيران، بدلا من هذا الوضع الذي يجعل قادته الأشاوس موضع سخرية الجميع وانتقاداتهم واتهاماتهم.

اليمن وإيران... والشلل الأميركي

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

ألقى الرئيس جو بايدن خطاب الهزيمة الأميركيّة في أفغانستان، أطول حرب خاضتها الولايات المتحدة. وضع جزءا من اللوم على إدارة سلفه دونالد ترامب الذي باشر التفاوض مع "طالبان" في الدوحة وغير الدوحة، وجزءا آخر على الأفغان أنفسهم الذين لم يقاوموا "طالبان". أشار إلى مسارعة الرئيس أشرف غني إلى الفرار من كابل. أعطى كلّ الأعذار التي تبرّر الهزيمة من دون أن يوفّر إجابة عن السؤال المتعلق بالانتظار كلّ هذه السنوات لمعرفة أن الجيش الذي بنته أميركا وحلفاؤها في أفغانستان لم يكن يصلح لمواجهة عودة حركة "طالبان" التي هي في الأصل عبارة عن صنيعة لجهاز الاستخبارات العسكرية الباكستاني، بعلم أميركي طبعا.

ثمّة أحداث كثيرة لافتة في مرحلة ما بعد الانسحاب العسكري الأميركي من أفغانستان. من بين هذه الأحداث التصعيد الإيراني في اليمن وانطلاقا من اليمن في استهداف واضح للمملكة العربيّة السعوديّة

ثمّة أحداث كثيرة لافتة في مرحلة ما بعد الانسحاب العسكري الأميركي من أفغانستان. من بين هذه الأحداث التصعيد الإيراني في اليمن وانطلاقا من اليمن في استهداف واضح للمملكة العربيّة السعوديّة. قرأت "الجمهوريّة الإسلاميّة" الانسحاب من أفغانستان على طريقتها. باتت تعرف اليمن جيدا، بل أكثر من غيرها، في ضوء وجودها فيه منذ سنوات طويلة. هذا الوجود تعزّز بعد وضع الحوثيين (جماعة أنصارالله) أيديهم على صنعاء في 21 أيلول – سبتمبر 2014، أي منذ سبع سنوات.

من صنعاء، العاصمة العربيّة الرابعة التي تسيطر عليها إيران، تتحكّم "الجمهوريّة الإسلاميّة" بجزء من اليمن وتتابع سعيها للسيطرة على مدينة مأرب بعدما تمكّنت، عن طريق الحوثيين وتواطؤ الأمم المتحدة، الإمساك بميناء الحديدة على البحر الأحمر. حوّلت إيران شمال اليمن، من مشارف تعز إلى الحديدة وصعدة، مجرّد قاعدة صواريخ وطائرات مسيّرة في وقت تعاني منه "الشرعيّة" برئاسة الرئيس المؤقت عبدربه منصور هادي من حال غيبوبة وانفصام تام مع ما يدور على أرض اليمن.

لولا سلاح الجو التابع للتحالف العربي، ولولا استبسال عدد من القادة العسكريين اليمنيين وأبناء قبائل المنطقة (عبيدة ومراد) لكانت مدينة مأرب سقطت منذ فترة طويلة. ثمّة إصرار حوثي، أي إيراني، على الاستيلاء على مدينة مأرب نظرا إلى كونها ذات أهمّية كبيرة من نواح عدّة بينها موقعها الاستراتيجي... ماذا ستفعل أميركا، ما بعد الانسحاب من أفغانستان، بالتصعيد الإيراني في اليمن وانطلاقا منه؟ هل تستمرّ في لعب دور المتفرّج في وقت ليس ما يشير فيه إلى أن الحوثيين سيتوقفون عن سياستهم العدوانية التي تستهدف فرض أمر واقع في شبه الجزيرة العربيّة.

ما الذي يستطيع عمله المبعوث الأميركي الخاص إلى اليمن تيموثي ليندركينغ، الذي قرّر أخيرا التحرّك مع مبعوث الأمم المتحدة هانز غروندبرغ من أجل إيجاد مخرج في اليمن؟

الجواب أنّ المبعوث الأميركي لن يستطيع شيئا إذا لم يأخذ في الاعتبار أنّ إيران مصمّمة على استخدام اليمن كورقة أساسية في فرض شروطها على الإدارة الأميركيّة. ترى إيران أنّ هناك فرصة جديدة للتقدّم في اليمن وتكريس وجودها فيه. لذلك، كان إطلاق الطائرة المسيّرة في اتجاه قاعدة العند في محافظة لحج الجنوبيّة أخيرا. أسفر ذلك عن مقتل ما يزيد على 40 عسكريا يمنيّا، في ثاني هجوم من نوعه على العند منذ مطلع العام 2019. لم تجد "الشرعيّة" ما تردّ به سوى كلام سطحي من نوع قول رئيس الوزراء معين عبدالملك أنّ ذلك "يكشف أن الحوثيين غير مهتمّين بالسلام". ما هذا الاكتشاف الذي لم يسبقه إليه سوى عبدربّه منصور هادي الذي سارع إلى اكتشاف آخر يتعلّق بالدور الإيراني في اليمن ودعم "الجمهوريّة الإسلاميّة" للحوثيين!

لا أمل في تحقيق أيّ تقدّم في وجود "شرعيّة" من نوع تلك الموجودة في اليمن والتي يشكّل الإخوان المسلمون جزءا لا يتجزّأ منها. هؤلاء لديهم أجندة خاصة بهم لا تتعارض مع الأجندة الحوثيّة. يؤكّد ذلك أنّه فيما يعتدي الحوثيون على مطار أبها المدني السعودي، نرى همّ جماعة حزب الإصلاح الإخونجي منصبًا على وضع اليد على حقول الغاز التي تديرها "توتال" الفرنسية في بلحاف – محافظة شبوة. يعتبر الإخوان في اليمن أنّ معركتهم مع المجلس الانتقالي الجنوبي الذي يسيطر على هذه الحقول بدل إرسال قوات إضافيّة إلى مأرب بغية مساعدة المدافعين عن المدينة في وجه الحوثيين. قبل نحو شهرين تقريبا، خذل الإخوان أهل محافظة البيضاء الذين انتفضوا في وجه الحوثيين...

أبدت إدارة بايدن منذ اليوم الأول لدخوله البيت الأبيض اهتماما مميّزا باليمن. في هذه المرحلة بالذات، ثمّة فرصة للإدارة الأميركية كي تتحرّك وتظهر أن فهمها لليمن أفضل من فهمها لأفغانستان وأنّها لن تدع إيران تفرض أمرا واقعا في اليمن، خصوصا بعدما تبيّن أنّ "الجمهوريّة الإسلاميّة" صاحبة الكلمة الأولى والأخيرة في صنعاء وأنّ لديها تصميما على تحقيق هدفين. الأوّل الاستيلاء على مأرب والآخر متابعة الهجمات على السعوديّة.

ترفض إيران أيّ محاولة لإيجاد تسوية في اليمن، حتّى لو كان الحوثيون جزءا من هذه التسوية نظرا إلى أنّهم مكون من مكونات المعادلة اليمنيّة وليس من المنطقي تجاهلهم.

لا شكّ أن الوضع اليمني في غاية التعقيد وأن هناك مأساة إنسانيّة لا مثيل لها في هذا البلد المعدم. هذا لا يمنع الولايات المتحدة من اعتماد مقاربة جديدة أكثر وضوحا وفهما لما هو على المحكّ في اليمن. مقاربة تظهر من خلالها أن هزيمة أفغانستان لا تعني شللا لسياستها الخارجيّة ولا تعني خصوصا استسلاما أمام إيران التي تعمل على تكريس واقع في اليمن لا يشبه سوى واقع سيطرة "حماس" على قطاع غزّة منذ منتصف العام 2007.

يبدو الخيار واضحا كلّ الوضوح. هناك مسؤوليات يتحمّلها اليمنيون أنفسهم، بما في ذلك "الشرعيّة" التي لا شيء يمكن تبرير فشلها على كلّ المستويات، وهي "شرعيّة" نصفها نائم ونصفها الآخر متواطئ مع الحوثيين يلعب معهم من تحت الطاولة. لكنّ هناك مسؤولية تتحمّلها الإدارة الأميركية التي يُفترض أن تثبت أن مرحلة ما بعد الانسحاب من أفغانستان لا تعني وقوفها موقف المتفرّج حيال ما يدور في اليمن، خصوصا في ضوء اتباع إيران سياسة أكثر عدوانية إن تجاه الداخل أو منطقة شبه الجزيرة العربيّة كلّها...

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk